إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الرابعة عشرة ـ العدد السادس والخمسون ـ شتاء ١٤٠٣ش/كانون الأول ٢٠٢٤م
https://doi.org/10.82401/roc.2024.1214112
صص ١٤٨ ـ ١٢١

النقد الثقافی لروایة "بیت القاضی: العرّاب الأخیر" لریاض القاضی بناءً علی مدرسة فرانکفورت

فرشته جمشیدی*
شهریار همّتی(الکاتب المسؤول)***
یحیی معروف***
حامد پورحشمتی****

الملخص

یعدّ النقد الثقافی منهجاً حدیثاً یتأثّر بأسس المدارس النقدیة المعاصرة، مثل علم الاجتماع وتحلیل الخطـــاب، ویعتمد علی تناول القضایا الاجتماعیة بأســـلوب أدبی ناقد بهدف تفکیکها وتحلیلها والسعی إلی معالجتها من خلال أعمال الکُتّاب الملتزمین. ومن بین أبرز مدارس النقد الثقافی تبرز مدرسة فرانکفورت التّی ترکّز علی نقد المجتمع والبُنی المعرفیة والسلطویة، وتهدف إلی الکشـــف عن طبیعة الخلل البنیوی والاضطرابات العمیقة فی النسیج الاجتماعی، خاصّة فی السیاقات المضطربة کالمجتمع العراقی. تعتمد هذه المدرسة علی التنظیر النقدی الراديکالي، وتســـعی إلی تفکیک علاقات الهیمنة وصناعة الثقافة الجماهیریة، من خلال تحلیل الأنساق الثقافیة والخطابات المُکرَّسة. وفی هذا السیاق، یقدّم ریاض القاضی فی روایته "بیت القاضی: العرّاب الأخیر" معالجة نقدیة لمظاهر الســـلطة وآثار الإیدیولوجیا التدمیریة فی المجتمع العراقی، کاشفاً عن الجوانب القمعیة والانتهاکات المتجذّرة ضدّ الشعب. ومن خلال شخصیات الروایة المستوحاة من الواقع العراقی المؤلم، یمنح القارئ نافذةً یطلّ منها علی أبرز العادات والتقالید السائدة، ویظهر تؤثر الإیدیولوجیا المهیمنة فی تشکیل الوعی وتوجیه المصیر الجمعی. تهدف هذه الدراسة، بالاعتماد علی المنهج الوصفی – التحلیلی، واســـتناداً إلی نظریة النقد الثقافی لمدرسة فرانکفورت، إلی تحلیل الروایة المذکورة من حیث تمثیلها للسلطة ودور الإیدیولوجیا فی رسم مصیر الشعب العراقی. تُظهر نتائج البحث أنّ الکاتب یســـعی من خلال وعیه العمیق بمشـــاکل مجتمعه وتســـلیطه الضوء علی أزماته الثقافیة، إلی تحفیز التغییر والتحوّل فی الواقع الراهن، کما یتناول تطلّعات الشعب وآمالهم فی التحرّر من هیمنة الثقافة السلطویة والسعی إلی تحقیق الحریة والمساواة الاجتماعیة.

الکلمات الدلیلیة: النقد الثقافي، مدرسة فرانکفورت، المجتمع العراقی، ریاض القاضی، روایة "بیت القاضی: العرّاب الأخیر".

*. طالبة دکتوراه فی فرع اللغة العربیة وآدابها، جامعة رازی، کرمانشاه، إیران
**. أستاذ فی قسم اللغة العربیة وآدابها، جامعة رازی، کرمانشاه، إیران
poorheshmati@guilan.ac.ir
***. أستاذ فی قسم اللغة العربیة وآدابها، جامعة رازی، کرمانشاه، إیران
****. أستاذ مساعد فی قسم اللغة العربیة وآدابها، جامعة کیلان، رشت، إیران

تاریخ الاستلام: ١٤٤٧/٠٢/١١ق تاریخ القبول: ١٤٤٧/٠٤/١٩ق

المقدمة

نظرية مدرسة فرانكفورت١ النقدية هى نتاج مجموعة من المفكّرين الماركسيين الجدد الّذين انتقدوا الحتمية الاقتصادية للنظرية الماركسية التقليدية وتركيزها الأحادى على العوامل الاقتصادية. فقد وجّه هؤلاء المفكرون اهتمامهم من الاقتصاد نحو البُعد الثقافى، ووضعوا الثقافة فى موقع البنية التحتية بدلاً من الاقتصاد، كما هو سائد فى الفكر الماركسى التقليدى. ترى هذه النظرية أن مركز السيطرة فى العالم الحديث قد انتقل من المجال الاقتصادى إلى المجال الثقافى. وكان مفكّرو النظرية النقدية يولون اهتماماً بالغاً بصناعة الثقافة وهيمنة هذه الصناعة المتزايدة على المجتمع والأفراد. إنّ مصطلح صناعة الثقافة٢ الّذى صاغه أدورنو٣ وهوركهايمر٤، يشير إلى ظاهرة تتحوّل فيها الثقافة عن وظيفتها الأساسية، لتصبح شكلاً من الإنتاج الثقافى الموجّه من أعلى إلى أسفل، ويتم بثه عبر وسائل الإعلام كسلعة استهلاكية إلى الجماهير.

ينتج عن هذا المسار توحيد الأذواق، وخلق حاجات وهمية ومزيفة، ما يجعل الثقافة أداة لخدمة الهيمنة السائدة، ومصالح الطبقة الرأسمالية. إنّ السبيل الوحيد للهروب من هذه الدائرة الثقافية الفاسدة يتمثّل فى العودة إلى الفنّ الخالص الّذى يتميز بعدم التكرار، وبالابتعاد عن الأنماط الموحّدة والمتشابهة؛ فهذا النوع من الفن يسهم فى تنمية الذهن الخلّاق، وتعزيز روح الابتكار، ومن ثم ترسيخ الفردانية والعقلانية الحقيقية لدى المتلقى. (فرخوندى وپارسى، ١٣٩٥ش: ٨٥) لقد كان لمدرسة فرانكفورت خلال الثلاثين سنة الماضية أثر بالغ فى النقاشات الفلسفية والاجتماعية، وسعت إلى إعادة تجديد الماركسية التقليدية. (مكاوى، ٢٠١٨م: ٧) إنّ تحليل المؤسّسات والهياكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لا يكفى وحده، بل يجب أن يمتدّ هذا التحليل إلى بنية التفكير، وأنماط الوعى، واللغة الّتى يتواصل بها الناس، وكذلك إلى العلاقة بين توجّهات المعرفة والقيم والمصالح الّتى تحرّك الأفراد؛ فمن هنا، يمكن القول إنّنا نواجه رؤية نقدية شاملة

1. Frankfurt School.
2. Culture industry.
3. Theodor W. Adorno.
4. Max Horkheimer.

للعلم، والسياسة، والأخلاق، والتكنولوجيا، والسلطة. (مصدق، ٢٠٠٥م: ١٢و١١) غالباً ما يستخدم مصطلح مدرسة فرانكفورت كمُرادف لـلنظرية النقدية[1]؛ فقد خرج من رحم هذه المدرسة تيارٌ فكرى يعرف بـ "النظرية النقدية" الّتى أصبحت محوراً رئيساً للبحوث الفلسفية والنظرية لدى روّاد المدرسة. كانت بمثابة إطار نظرى يميز أعضاء المدرسة عن الماركسية الأرثوذكسية[2] السـائدة، كما أنّها شكّلت غطاءً للفكر الثورى فى بيئة كانت معادية لهذا النوع من التوجّهات.

لقد تحوّلت النظرية النقدية إلى نظرية اجتماعية شاملة فى المجتمع المعاصر وأسهمت بشـكل كبير فى تطوّر النظرية الاجتماعية الحديثة. تأسّست هذه النظرية على القناعة بأنّ الرأسمالية منذ منتصف القرن العشـرين وما بعـده، قد مرّت بتحوّل جذرى مقارنةً بعصر ماركس[3]، بينما كان الاقتصاد هو محور تركيز ماركس. رأت مدرسـة فرانكفورت أنّ البُعد الأهمّ فى المجتمع قد انتقل من الاقتصاد إلى الثقافة، وبالتالى أصبح لزاماً على النظرية النقدية أن تُوجّه نقدها إلى الثقافة بدلاً من الاقتصاد. (المصدر نفسـه. دراسة صناعـة الثقافة فى كلّ مجتمع تُعدّ من الموضوعات الجوهرية والمشـتركة بين الكُتّاب فـى عصر الثقافة والأدب؛ فالكاتب المبدع يتمتّـع بطبيعة فكرية نقدية، ويضطلع بدور إصلاحى تجاه مشـكلات مجتمعه مسـتفيداً فى ذلک من أداة الأدب، وخاصّة الرواية، كوسيلة للتعبير والنقد. تعتبر الرواية وسيلة فعالة لتمثيل القضايا الاجتماعية والثقافية لكلّ مجتمـع، وتكون من بين أبرز هذه القضايا الّتى لفتت انتباه الأدباء هى المشـاكل والاختلالات الاجتماعية.

فـى القصص والروايات ذات الطابع الاجتماعى، يكون المجتمع والثقافة فى مركز الاهتمام، وتُبنى الشخصيات، وخصوصاً الشـخصيات الذكورية، وكذلک الأحداث، علـى محورية نقد هذه العناصر. فى الأدب القصصـى العربى تكثر مثل هذه الروايات الّتى تعكس الواقع، حيث يسـعى الكُتّاب تحت تأثير الظروف الاجتماعية ومن منطلق

1. Critical theory.
2. Orthodox Marxism.
3. Karl Marx.

مسؤوليتهم الأدبية إلى إصلاح المجتمع ونقل همومه الثقافية والاجتماعية إلى أعمالهم. تُعدّ رواية "بيت القاضي: العرّاب الأخير" للكاتب رياض القاضي[١] من أبرز الأعمال الأدبية الّتي تعكس من خلال شخصياتها كلّ المفاهيم الخاطئة السائدة في المجتمع حول السلطة، كما تكشف عن العقبات الّتي تقف في طريق نموّ الشعب وتقدّمه. تتناول هذه الدراسة من خلال منهج فرانكفورت النقدي، قضايا ثقافية وإيديولوجية تؤثّر في بنية المجتمع، فيتمّ تحليل هذه الرواية باستخدام المنهج الوصفي – التحليلي، وبالاعتماد على أسس النظرية الثقافية لمدرسة فرانكفورت. أمّا منهج البحث فهو التحليل النقدي لآراء وأفكار رياض القاضي بوصفه ناقداً لمجتمعه للكشف عن مظاهر الخلل والاضطراب في روايته المعنية.

أسئلة البحث

١. استناداً إلى مفاهيم مدرسة فرانكفورت ومن خلال تحليل صناعة الثقافة الجماهيرية، ما النظريات والأفكار الّتي قام رياض القاضي بنقدها في رواية "بيت القاضي: العرّاب الأخير"؟

٢. إلى أي مدى نجح الكاتب في عكس الأفكار والهموم السائدة في مجتمع هذه

١. وُلد رياض القاضي عام ١٩٧٤م في بغداد، وبدأ مسيرته في الكتابة في سنّ مبكّرة؛ إذ شرع في التأليف وهو لا يزال في الخامسة عشرة من عمره. إنّه في منتصف ثمانينيات القرن الماضي وعلى الرغم من صغر سنه، ألّف عدداً من المسرحيات وثلاث روايات تدور حول مصر القديمة، متأثّراً بشخصية الأديب العالمي نجيب محفوظ، كما كتب أيضاً قصصاً بوليسية. دخل القاضي في عام ١٩٩٢م المجالين الإعلامي والسياسي حيث بدأ بنشر آرائه الاجتماعية والنقدية في عدد من المجلات. أجرى حوارات صحفية وتلفزيونية متعددة وأجاد التحدّث بستّ لغات مختلفة. حصل على عدّة جوائز أدبية من مؤسّسات ثقافية مختلفة وكتب عدّة مقالات جريئة احتجاجاً على الأوضاع المتدهورة في العراق، وهو ما دفعه إلى مغادرة البلاد عام ١٩٩٩م، رغم أنّه كان مرشّحاً في ذلك الوقت للانضمام إلى مؤسّسة الضبّاط الأمنيين الكبار. لقد كتب في منفاه مقالات عديدة نُشرت في صحف دولية بارزة، وأكمل دراسته في لندن حيث عمل كصحفي وبناءً على طلب بعض المنصات الإعلامية الإلكترونية، بدأ في نشر مذكّراته ليصدر لاحقاً أولى رواياته بعنوان "المصير: مذكّرات مواطن عراقي". من أبرز مؤلفاته: الحريق والرماد، الصرخة، نسرين أبجدية العشق، حواء، عصر النساء، قارئة الفنجان، كهرمانة والغزاة، من يوميات رجل حزين، قصائد ثائرة، نساء على كفّ الرب، نسرينات، إسطنبول، اعترافات الحبّ، المجزرة، بغداد وتأملات. (القاضي، ٢٠١٧م: ٢١٩و٢١٨)

الروایة؟

خلفیّة البحث

لقد کُتب العدید من الدراسات حیال النقد الثقافی ونظریة مدرسة فرانکفورت، وتناول أبعاداً اجتماعیة وثقافیة متعدّدة لهذا الحقل النقدی الحدیث. فیما یلی بعض الأعمال الّتی سلّطت الضوء علی هذا المجال کمقالة «بررسی تطبیقی مکتب انتقادی فرانکفورت و مطالعات فرهنگی بیرمنگام: دراسة مقارنة بین مدرسة فرانکفورت النقدیة ودراسات برمنغهام الثقافیة» الّتی نشرها کریم خانمحمدی فی المجلّد ١٦ والعدد ٦٢ لمجلّة «علوم سیاسی» بجامعة باقر العلوم (ع) سنة ١٣٩٢ش، وکتاب «مقولات النقد الثقافی: مدرسة فرانکفورت، الوجودیة، ما بعد البنیویة» لریتشارد ولین سنة ٢٠١٦م، ومقالة «النقد الثقافی: المصطلح، المفهوم، المرجعیّات» الّتی قدّمها عبد الله عاید الشرفات ونشرها فی المجلّد ٥ والعد ٢ لمجلّة «العلوم الإنسانیّة والاجتماعیّة» سنة ٢٠٢١م، وکذلک مقالة «دراسه الانساق الثقافیّة فی القصص القصیره «وجه ها وطن» لفاطمه یوسف العلی» الّتی کتبتها فاطمة أکبریزادة وزهراء فرید، ونشرتاها فی السنة ١٥ والعدد ٤٠ لمجلّة «دراسات فی اللغة العربیّة وآدابها» بجامعة سمنان سنة ٢٠٢٥م و... .

أمّا حول البحوث الّتی تعنی بروایة «بیت القاضی: العرّاب الأخیر» فلم یُکتب بحث ملحوظ سوی مقالة «تحلیل شخصیت در رمان «بیت القاضی – العراب الأخیر» بر مبنای نظریه کارن هورنای: تحلیل الشخصیة فی روایة «بیت القاضی – العرّاب الأخیر» علی أساس نظریة کارین هورنی» الّتی کتبتها فرشته جمشیدی الآخرون ونشروها فی السنة ١٦ والعدد ١ لمجلّة «أدب عربی» بجامعة طهران. لقد قامت هذه الدراسة بتقدیم نقد نفسی لروایة «بیت القاضی – العرّاب الأخیر» لریاض القاضی عبر استخدام المنهج الوصفی – التحلیلی والاعتماد علی نظریة الشخصیة لکارین هورنی، ساعیة إلی تحدید أنماط الشخصیات المختلفة فی الروایة، والکشف عن سماتها المضطربة.

النقد الثقافی

يعتمد تحليل الإبداع الأدبی على المبدأ القائل بأنّ الأدب والفلسفة فی ميادين مختلفة طرق للتعبير عن رؤية عالمية، وهذه الرؤية ليست ظاهرة فردية بل ظاهرة اجتماعية. إنّ «الاكتشـــافات من داخل الفعل النقدی كانت الدفعة القويّة إلى مرحلة (مابعد) النقديّة حيث (التأريخانيّة الجديدة) و(النقد الثقافی) متأسّســـة على نقد ما بعد البنيويّة وما بعد الحداثة وما بعد الكولونيالية، حيث تأتی مشروعات نقديّة متنوّعة تستخدم أدوات النقد فی مجالات أعمق وأعرض من مجرّد الأدبيّة.» (الغذّامی، ٢٠٠٥م: ١٤) فی هذا الإطار تُعتـــبر الثقافة أو بعبارة أدقّ، كلّ عمل ثقافی هامّ، أبلغ نقطة التقاء بين الحياة الجماعية والحياة الفرديـــة؛ لأنّ «جوهرة الثقافة تكمن فی توحيد الوعی الجمعی إلى درجة من الوحدة الّتـــی تميل إليها بطبيعتها، ولكن فی الواقع التجريبی، لا يمكن تحقيق ذلک دون تدخل الفرد الخلاق.» (گلدمن والآخرون، ١٣٧٦ش: ١١٠) إنّ العالم الاجتماعی المهتمّ بالأدب والّذی يمتلک خبرة فی تحليل الأعمال الأدبية لا يكتفی فقط بتفسير النصوص الأدبية الّتی تحمل بطبيعتها طابعاً اجتماعياً، بل من الضرورری له أيضاً دراســـة الآثار الاجتماعية للمواضيع والمضامين الأدبية الّتی قد لا تكون مرتبطة مباشرة بحياة الناس العامة أو الشؤون الجماعية.

إنّ «للأدب فائدة اجتماعية لا تقتصر على الجانب الفردی فقط، علاوة على ذلک، فإن المؤسســـات الجمالية ليست مبنية على المؤسسات الاجتماعية، ولا يمكن اعتبارها جزءاً من هذه المؤسســـات، بل هی نوع من المؤسّسات الاجتماعية ذاتها الّتی ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمؤسســـات الأخرى» (ولک ووارن، ١٣٧٣ش: ١٠١)؛ على الرغم من أنّـــه لا يوجد تعريف اصطلاحی محدّد لمفهوم الثقافة فی العالم، فقدّم عالم الأنثروبولوجيا البريطانـــی إدوارد بيرنت تايلور[1] فی عام ١٨٧١م فی كتابه "الثقافة البدائية" التعريف الأكثر شمولاً للثقافة. أنتونی غيدنز[2] فقد عرّف الثقافة بأنّها «هی القيم الّتی يمتلكها أعضاء جماعـــة معينة، والمعايير الّتی يتبعونها، والمنتجات الماديـــة الّتی يصنعونها.» (زهره‌ای،

1. Edward Burnett Tylor.
2. Anthony Giddens.

۱۳۸۷ش: ۵۵. إنّ مفهـــوم الثقافة والنقد الثقافی من أکثر المفاهیم إثارة للتحدّیات فی العلوم الإنسانیة؛ لأنّ النقد الثقافی أو الدراسات الثقافیة لیست فرعاً علمیاً مستقلّاً بحدّ ذاته، بل هی نشـــاط یهدف إلی الکشف عن المعانی الکامنة وراء الممارسات المختلفة، ســـواء من وجهات نظر مارکسیة، أو نسویة، أو ما بعد حداثیة، أو البنائیة، أو التأویلیة، وغیرها.

مدرسة فرانکفورت

نشـــأت مدرســـة فرانکفورت نتیجة نشاط جماعة من الیســـاریین الألمان فی عقد العشـــرینیات من القرن العشرین. بدأت أعمالهم بتأســـیس معهد للدراسات المارکسیة بدعم من فیلیکس وایل[1] الّذی قام فی عام ۱۹۲۲م بتأســـیس معهد بحثی تابع لجامعة فرانکفـــورت. (وولـــین، ۲۰۱٦م: ۸۱) فـــی الثالث من فبرایر عـــام ۱۹۲۳م بدأ تیار فرانکفورت فی وضع أســـســـه داخل هذه الجامعة بمســـاعدة هذا الشخص. مع صعود النازیین إلی الســـلطة فی ألمانیا عام ۱۹۳۳م، اضطرّ المعهد إلی تعلیق نشـــاطاته وفرّ أعضـــاؤه إلی مدن مختلفة فی خـــارج البلاد مثل جنیف، لنـــدن، باریس وبحلول عام ۱۹٤۰م کان معظم أعضاء المدرســـة قد هاجروا إلی الولایات المتّحدة حیث استُقبلوا بحفاوة ووجدت أفکارهم رواجاً وأتباعاً علی خلاف ما حدث فی فرنسا.

لقد استخدمت مدرسة فرانکفورت الفلسفة، والعلوم، والفنون، و... سواء من خلال النقد أو التحلیل أو الإثبات أو التعالی من أجل الکشـــف عن أزمة القیم لدی الإنسان المعاصر. (أحمد وزاوی، ۲۰۲۱م: ۲۱۷) مدرسة فرانکفورت النقدیة تشمل نقد المجتمع وکذلـــک نقد الأنظمة المعرفیة المختلفة وهدفها النهائی هو الکشـــف الدقیق عن طبیعة المجتمع. تقوم هذه النظریة علی سلســـلة من الانتقـــادات الموجّهة إلی مختلف جوانب الحیـــاة الاجتماعیة والفکریة المســـتوحاة من فکر کارل مارکـــس. إذ یتمثّل الهدف الأساسی للنظریة النقدیة هذه فی إظهار علاقات السلطة ضمن الإطار الثقافی للظواهر. (إبراهیمی‌مینق والآخرون، ۱۳۸٦ش: ٦۵) أمّا الأسس الفکریة لهؤلاء المفکّرین، فیمکن

1. Felix Weil.

تلخيصهـــا فى نقد النظام الرأسمالى فى ضوء الفكر الماركســـى ونقد العقلانية الأداتية، ونقد الفلســـفة الوضعية، والنقد الثقافى. إنّ الرأسمالية عندها لا تقتصر على اســـتغلال الطبقات اقتصادياً، بل إنّها تنتج أيضاً أشـــكالاً من الســـيطرة الثقافية والأيديولوجية، حيث يتمّ تشـــكيل وعى الأفراد وتوجيه رغباتهم بما يخدم مصـــالح النظام الرأسمالى. (وولين، ٢٠١٦م: ٨٨و٨٧) انتقد مفكّرو المدرسة استخدام العقل كأداة لتحقيق الكفاءة والسيطرة، بدلاً من كونه وسيلة لفهم العالم وتحرير الإنسان. العقلانية الأداتية، فى رأيهم، أدّت إلى اغتراب الإنسان وخلقت مجتمعاً تسوده البيروقراطية والجمود. رفضت المدرسة التصـــوّر الوضعى للمعرفة الّذى يحصر الحقيقة فى ما هو قابل للقياس والملاحظة فقط، معتبرة أنّ هذا التوجّه يقصى الجوانب الإنســـانية والأخلاقية والتأريخية من التحليل، ويحد من إمكانيات التغيير الاجتماعى. ركّزت مدرسة فرانكفورت على تحليل الثقافة الجماهيرية ودورها فى ترويج الخضوع والطاعة للنظام القائم، واعتبرت أنّ وســـائل الإعلام والثقافة الشـــعبية أصبحت أدوات للهيمنة، تُسهم فى نشر الأيديولوجيا وتمنع النقد والتحرّر الفكرى.

نبذة عن رواية "بيت القاضى: العرّاب الأخير"

روايـــة "بيت القاضى: العرّاب الأخير" ليســـت رواية تأريخيـــة بحتة، بل هى قصّة شـــخصيات لها دور مهم فى تغيير مسار المســـتقبل السياسى والاقتصادى فى العراق. تســـجّل الرواية الأحـــداث الّتى وقعت فى بغداد من عـــام ١٩٠٢م حتّى نهاية حكم أســـرة بيت القاضى. تدور الرواية حول النزاعـــات والصراعات العائلية داخل عائلة بيـــت القاضى، حيث يصوّر الكاتب جميع الأحداث وأفعال الشـــخصيات بهدف إبراز تحوّل الســـلطة إلى كائن خطير حتّى أنها تقطع الروابط العائلية والدموية. يرى الكاتب أنّه يجب إيقاف هذه الســـلطة قبل أن تُدمّر الإنســـان ذاته. هذه الرواية «ليست رواية تاريخية بحتة، بل هى سرد لحكاية شخصيات تلعب دوراً مهمّاً فى تغيير المسار السياسى والاقتصادى للعراق. توثّـــق الرواية الأحداث والوقائع الّتى جرت فى بغداد منذ عام ١٩٠٢م حتّى نهاية العهد الملكى، وتدور بشـــكل جوهرى حول الصراعات والنزاعات

العائلیـــة الّتی تحدث داخل عائلة «بیت القاضی.» (جمشـــیدی والآخرون، ۱٤۰۳ش: ۱۱۸) إنّ الشـــخصیة الرئیســـة فی الروایة هی عمران بیک الّذی تدور معظم أحداث القصة حوله. هو شـــخص طمّاع یسعی بقوة للوصول إلی السلطة والمکانة الاجتماعیة ولا یتردّد فی ارتکاب أفعال شـــریرة لتحقیق أهدافه. یقوم بتنفیذ مخطّط لاغتیال والده لیزیـــل العقبات أمام طموحاته، وبعد وفاة والده یتولّـــی زمام الأمور والثروة العائلیة. إنّه یقوم أیضاً بالقضاء علی أخته وزوجها حتی لا یبقی له وریث. ســـلوک عمران بیک القاســـی تجاه المقرّبین منه یجعله محلّ خوف الجمیع، حتّی زوجته تصمت خشـــیة علی حیاتها. یتخلّص عمران بیک من جمیع منافســـیه واحداً تلو الآخر عن طریق القتل، ما جلب له أعداءً کثیرین.

النقد الثقافی لروایة "بیت القاضی: العرّاب الأخیر"

صناعة الثقافة والهیمنة

إنّ الثقافة لا تتوافق بســـهولة مع الواقع القائم، بل تُثیر دوماً نوعاً من الاعتراض غیر المتزامن ضدّ العلاقـــات الجامدة الّتی یعیش الأفراد فـــی ظلّها. (إبراهیمی‌مینق والآخـــرون، ۱۳۸٦ش: ۱٤) هنـــاک فارق عمیق بین ما یســـمّی بالحیاة العلمیة وبین الثقافة، أی بین الشـــروط الیومیة للقمع والاستغلال من جهة ورفض تلک الشروط من جهة أخـــری وبالتالی یجب أن تکون الثقافة ناقدة بطبیعتها. (احمدی، ۱۳۸۰ش: ۱٦۱) حـــین تصبح الثقافة أداة لتبریر وتعزیز نظام القمع والهیمنة، فلا یمکن أن تُســـمّی ثقافة بعد ذلک. مدرســـة فرانکفورت تُطلق علی هذا الشکل الّذی تُنتجه الصناعة الإعلامیة ویغذّیـــه الإعلام والترفیه والإعلانات التجاریة اســـم صناعة الثقافة. هذه هی الثقافة الجماهیریة الّتی وظیفتها دمج الأفراد داخل بنیة اجتماعیة زائفة ومســـلّعة، ممّا یعیق تطوّرهم الإنســـانی ویقمع قدراتهم الثوریة. (نـــوذری، ۱۳۸٦ش: ۳۱۱و۳۱۰) إنّ هذا الشکل من الثقافة لا ینتج وعیاً حقیقیاً، بل یعید إنتاج علاقات الهیمنة من خلال الترفیه السطحی والتکرار الممنهج للرســـائل الأیدیولوجیة، بحیث تصبح القیم السائدة وکأنها طبیعیة أو قدر لا مفرّ منه. وبهذا یتمّ تطبیع الواقع الاجتماعی وتثبیت البنیة الطبقیة، لا

من خلال القمع المباشر، بل عبر الإقناع والتكيف النفسى.

إنّ ما يأتى فى المواصلة يسـلّط الضوء على الكيفية الّتى قام بها رياض القاضى، فـى رواية "بيت القاضى: العرّاب الأخير" بنقد الثقافة الجماهيرية كاشـفاً عن قُبحها وانحطاطها، وذلک من خلال شـخصيات الرواية وأحداثها الّتـى تُعرّى هذه الثقافة وتُدينها فى إطار نقدى حادّ مستوحى من مفاهيم مدرسة فرانكفورت.

أ: تجسيد الخيانات والعلاقات غير المشروعة السائدة

من أبرز الآفات والمشـاكل الّتى تهدّد الحياة الزوجية هى الخيانة، والّتى قد تصدر من أحد الطرفين، سـواء الرجل أو المرأة، وذلک لأسباب متعدّدة. يعدّ الالتزام بالعلاقة الزوجية من القيم الأخلاقية الشـائعة والأساسـية فى مختلف الثقافات، حيث يكون انتهاک هذا الالتزام سلوكاً مرفوضاً بشدّة. عندما يرتبط الزوجان بعهد الحياة المشتركة، يتوقّع منهما الوفاء والإخلاص؛ فإن الخيانة الزوجية تُعدّ من الظواهر الصادمة والمؤلمة لكلا الطرفين، وهى كذلک من أكثر القضايا المطروحة أمام مستشارى العلاقات الأسرية (ژيان‌پـور وبهارلوئى، ١٣٩٩ش: ١٨٠) وتتجلّى خطورة الخيانة فى كونها تمسّ جوهر العلاقة الزوجية، القائم على الثقة، والاحترام، والولاء المتبادل.

رواية "بيت القاضى: العرّاب الأخير" من أبرز النماذج النسـوية الّتى تمثل الخيانة الزوجية. فقد نَمَتْ لديها حاجة مَرَضيـة للفت انتباه الرجال، ممّا جعلها تتجاوز حدود العلاقة الزوجية وتخون زوجها دون تردّد. هذه الرغبة الّتى تُسيطر عليها باتت غير قابلة للإشـباع، فتمضى فى إغواء الرجال بشـكل متكرّر. يوضح الكاتب ملامح شخصيتها وانحرافها الأخلاقى من خلال أوصـاف دقيقة تُظهر كيف تتحوّل إلى أداة ضمن ثقافة الاستهلاک الجنسى والهيمنة الذكورية، حيث تفقد المرأة ذاتها وتُستَغل كوسيلة جذب، مما يجسّد انتقاد الرواية للواقع الأخلاقى المتردّى. وفى هذا السياق، يمكن فهم شخصية "رحاب" بوصفها انعكاسـاً لصورة المرأة فى إطار صناعة الثقافة الّتى تُشيئ الأفراد، خاصّة النسـاء، وتُحوّل العلاقات إلى سـلع ووسـائل للهيمنة، تماماً كما تُحلّل مدرسة فرانكفورت:

«رحاب؛ تلك المرأة منذ أن حلّت كساكنة جديدة في منطقة البتاوين وبالتحديد في إحدى أزِقَّتها الّتي اختارتها هي لتكون لها كمسكين آمن بعيداً عن كلّ الشبهات فاشترَى لها زوجها السرّي بيتاً واسعاً في إحدى العمارات لكي تكون مركز استراحته معها والّتي يلوذ بها بعد يوم متعب .. فبدأت "رحاب" حياتها كعادة الذئبة الماكرة الّتي تشتهي فريستها ثمّ تطبق عليه بفكّيها ومن ثمّ تهلكه كانت تشعل إحساس الرجال بوجهها المستدير الّذي تتوسّط صفحته العاجية بعينان سوداوان ... كانت حلم الرجال الّذين كانوا يراقبونها لدواعي الأحلام وأنوثتها الطاغية ويستجيبون لكلّ شيء تأمرهم به.» (القاضي، ٢٠١٧م: ٥١)

من خلال تحليل السمات الشخصية لشخصية رحاب، يمكن فهم الدوافع العميقة وراء خيانتها. يتّضح أن انعدام الدعم الاجتماعي من الزوج – سواء من الناحية العاطفية أو الجنسية أو المالية – كان سبباً رئيساً في انحرافها نحو هذا السلوك غير الأخلاقي؛ فرحاب رغم كونها متزوّجة، تعيش عطشاً نفسياً دائماً لجذب انتباه الرجال، ولا تلبث أن تُلاحق هذا الهدف بإصرار لا ينطفئ.

هذه الحالة تتحوّل عندها إلى نوع من الهوس أو الشغف الزائف الّذي يدفعها بشكل قهري نحو إغواء الرجال، وكأنها تسعى لتأكيد ذاتها أو لإثبات وجودها من خلال نظرات الإعجاب، في غياب أي شعور بالدعم أو القيمة الحقيقية. إلى جانب ذلك، يشير رياض القاضي إلى سبب أعمق وأكثر تعقيداً لانتشار الخيانة في المجتمع العراقي، يتمثّل في الظروف الثقافية والاجتماعية غير الملائمة الّتي تُقيد المرأة وتمنعها من التطوّر والظهور، إلّا عبر بوابة العلاقات مع الرجال. في هذا السياق، تُجسّد شخصية "رحاب" صورة المرأة المهمّشة، الّتي لا تجد أمامها وسيلة لتحقيق ذاتها أو طموحاتها إلّا عبر استغلال جسدها وموقعها كالأنثى في مجتمع ذكوري النزعة. وبذلك، تصبح "رحاب" رمزاً ثقافياً ناقداً، لا لشخصها فحسب، بل للنظام الاجتماعي بأكمله، نظام يكرّس قمع المرأة، تهميشها، وتسليعها. هذا التحليل ينسجم تماماً مع رؤية مدرسة فرانكفورت، الّتي ترى في مثل هذه الحالات نتائج مباشرة لصناعة الثقافة الّتي تُنتج أفراداً مُغتربين عن ذواتهم، خاضعين لمنطق السوق، ومحرومين من النموّ الإنساني الحقيقي.

بـ: الفقر والخضوع لأى شيء من أجل كسب المال

إنّ الفقـــر «من وجهة نظر الكثير مـــن الناس والمجتمعات البشـــرية، كلمة مخيفة ومثيرة للاشمئزاز؛ فهو وجه كئيب تنبعث منه مشـــاعر الحزن والأســـى، وتحمله صورة مرعبة وقاســـية ومصحوبة بالخوف.» (ناصـــرى، ١٣٨٤ش: ٢) يغدو الفقر من منظور سوســـيولوجى مظلّة سوداء وقذرة تنمو تحتها أشكال شتّى من العنف، القسوة، السرقة، النهب، والقتل، وباختصار، كلّ ما يرمز إلى التوحّش؛ لأنّ الفقر كالظلام الدامس الّذى يفقد الإنسان البصير قدرته على الرؤية (المصدر نفسه: ٣)، وهو ينتج بيئةً خصبةً لتفكّك القيم الاجتماعية، وانحسار الشعور بالانتماء، وشعور دائم بالخذلان والتهميش.

تكون رواية "بيت القاضى: العرّاب الأخير" مثالاً حياً على أثر الفقر فى شـــخص يُدعى قـــدرى نقيب وهو يعدّ اليد اليمنى لـــعمران بيک. يقتل قـــدرى بعض التجّار والأشـــخاص بأبشـــع صورة مقابل مبلغ زهيد أو وعد بمكافأة مالية. إنّه ينفّذ الأوامر بـــلا تردّد؛ لأنّه يرى فيها الوســـيلة الوحيدة للهروب من الفقر والجوع. يجسّـــد قدرى نقيب نموذج الإنسان الّذى تسحقه أنظمة الاســـتغلال الاقتصادى حتّى يفقد إنسانيته، ويســـتَخدم كأداة فى يد أصحاب الســـلطة والمال. هذا الشخص الّذى ترعرع فى بيئة منهارة اجتماعياً واقتصادياً، يعبّر بوضوح عن أهمّ قضايا مدرســـة فرانكفورت النقديّة وذلک أنّ الفقر عندها لا ينتج مجرّد حاجة، بل ينتج ثقافة استســـلام وخضوع وهيمنة، حيث يفقد الإنسان إرادته ويختزل إلى مجرّد كائن وظيفى يخدم مصالح الطبقات المهيمنة.

يوضح الكاتب فى وصفه لهذه الشـــخصية أنّ الفقر يحوّل الإنســـان إلى عبدٍ للمال، مطيعاً ذليلاً، مُســـتعدّاً لفعل أى شيء من أجل لقمة عيش. هنا تتجلّى نقد الرواية للواقع الاقتصادى العراقى، حيث تُصبح الحاجة أقوى من المبادئ، ويختزل الإنســـان إلى أداة يمكن شراؤها، وهى صورة قاتمة يدينها النصّ بوضوح:

«القاتلُ المحترفُ الّذى اغتال الجابرةَ مِن رجالِ التجارة والسياسةِ مِن خلالِ طُرقة الإجراميةِ المحترفةِ فتخلصُ مِنهم لقاء أجورٍ ضخمةٍ ولهذا الســـبب اختارَه سيدُه ليكون اليدَ اليمنى له بالرغم مِن عدم ثقةٍ بأحد ... كان يســـتعينُ به دائماً للتخلّصِ من خصومِه ســـواء مِن التجّار أو مِن السياســـيين الّذين يهدّدون مصالحَه بشكل عامّ.» (القاضى،

٢٠١٧م: ٥٦)

من تبعات مشكلة الفقر في المجتمع أنها دفعت الأفراد نحو ارتكاب أعمال وتصرفات مخالفة للقانون، وجعلتهم يتحوّلون إلى أدواتٍ في خدمة الزعماء والأشخاص ذوى النفوذ. النص يسلّط الضوء على عالم تتحكّم فيه المال والمصالح التجارية والسياسية، حيث لا تُدار الصراعات بالحوار أو الأخلاق، بل بالعنف المدفوع. هذا يتماشى مع نقد فرانكفورت للرأسمالية الّتى تحوّل حتّى العنف إلى سلعة قابلة للشراء، ويصبح القاتل المحترف موظّفاً في سوق الجريمة، لا يختلف كثيراً عن غيره في سوق العمل. إنّ القاتل، رغم كونه اليد اليمنى لسيده، لا يوثق به. هنا تظهر علاقات القوة المبنية على المنفعة والخوف لا على الثقة. وهو ما تعبّر عنه مدرسة فرانكفورت في مفهوم الاغتراب حيث إنّ العلاقات الإنسانية تفقد بعدها الأخلاقي والوجداني، وتتحوّل إلى أدوات لتدبير المصالح.

ج: اكتئاب النساء

إنّ الحزن وفقدان الدافع لدى النساء موضوع لا يمكن عزله عن الظروف الاجتماعية المحيطة؛ فالمجتمع الّذى لا يمنح قيمة للنساء العقيمات، ولا يرى فيهنّ سوى مصدر نقص أو عار، مجتمع يساهم في تدمير نفسيتهنّ وإطفاء شعلة الحياة في داخلهنّ. في مثل هذه البيئة، يصبح غياب الطفل سبباً في سلب المرأة من فرحها واختزال قيمتها في قدرتها على الإنجاب. تظهر في رواية "بيت القاضي: العرّاب الأخير" شخصية "عائدة" كنموذج نسوى يعاني من اضطهاد اجتماعي ونفسي مركّب. عائدة امرأة عاجزة عن الإنجاب، ومحاصَرة بين أسرتها الأصلية وعائلة زوجها. زوجها عمران بيك، يغرق في السلطة والدماء ويستخدم العنف والإقصاء لكسب نفوذه، ممّا يجعله رجلاً منشغلاً بالصراع والسيطرة، لا بالعلاقة الزوجية. أمّا عائدة فتصبح ضحية اللامبالاة الزوجية، وضغوط المجتمع، والعقم ممّا يدفعها إلى الهروب إلى عالم الطفولة، لعلّها تجد فيه تعويضاً عن فراغها العاطفي والروحي. هذا الانفصال عن الواقع واللجوء إلى خيالٍ بديل، انعكاس لحالة اكتئاب حادّ؛ فيشير إلى انسداد الأفق أمامها كامرأة تبحث عن ذاتها في نظام

ذكورى قمعى.

هذه الشخصية فى الرواية تجسّد الاغتراب الأنثوى الّذى تُفسّره مدرسة فرانكفورت بوصفه نتاجاً مباشراً للثقافة السلطوية الّتى تُحدّد قيمة الإنسان (وخاصّة المرأة) بوظائفه الإنتاجية أو النفعية. إنّ عدم الاعتراف بكيانها كإنســـان مستقلّ واعتبار العقم نقيصة وجودية، يقود عائدة إلى تفكّك داخلى وانكســـار نفسى يعبّر عنه النصّ بوضوح من خلال مشـــاهد يفيض فيها الحزن، والصمت، والانكفاء على الذات. يلاحظ فى المقطع التالى من الرواية أنّ ألم عائدة الداخلى لا يعلن عن نفسه بصوتٍ عالٍ، بل يتسرّب عبر نظراتها، حركاتها، وملامحها المنكسرة، كدليل صامت على ما تعانيه من قهر، خيبة، وهمّ وجودى ثقيل:

«قالت مؤنبة زوجها بقســـوة و هى مُصرَّة على إبقاء الطفل على قيد الحياة ... نظر إليها بذهول قائلاً:

-وهل أعطيتَه اسما أيضا؟

-ولِمَ لاوسيكون ابننا الّذى حُرمنا منه سنين؟؟

احتجّ «عمران» بصوت مرتفع قائلاً:

-لا الظاهر أنت من ثملتِ من عبق النبيذ ... كيف تجرؤين على تبنّى لقيط؟!

-هذا ســـيكون اسمه على اســـم جدى الأكبر "محمود بيک القاضى" ... فهذا طفل شـــرعى ولدته إختک وهى متزوّجة وليس ابن زنا كما تدّعى أنت.... لو تريد أن تصلح بقايا الأمور فانزل إلى أختک الحبيســـة فى زنزانة القصر وانهى أمرها بســـرعة بطلقة الرحمة ... ثمّ دع الحرّاس يتولّون الباقى ولا تنس مَن أنت، فأنت كبير العائلة وصاحب الصولجان و الهيلمان.» (القاضى، ٢٠١٧م: ٢١)

هنا يكون من الواضع أنّه من أسباب الإخفاق والشعور بعدم الكفاية لدى عائدة، عدم قدرتها على الإنجاب. فقد جعلها العقم امرأةً منطوية، فاقدة للثقة بالنفس، تشـــعر بفراغ داخلى يثقل روحها ويقضّ مضجعها. تسعى من أجل تعويض هذا النقص إلى تبنّى طفل أخت عمران بيـــک، وهو مولود جميل حديث الولادة، وتطرح هذه الفكرة على عمران بيک، محاولةً اختيار اسم ولقب جديدين له، لعلّها تجد بذلک شعوراً وهمياً بالأمومة. من

مصادر الحزن الأخرى في حياة عائدة هو وجود امرأة أخرى في حياة زوجها عمران بيك، الأمر الّذى أدخلها في حالة من الشـــعور بالخذلان والإهانة والاحتقار الذاتى. لقد ولّد وجود عشيقة لزوجها شعوراً مريراً بالرفض والدونية والارتياب في ذاتها. هذا الاحتقار الذاتى الناتج عن خيانة زوجها، جعل منها امرأة حزينة، ومكتئبة، وغير قادرة على الشعور بالرضا أو السيطرة على حياتها.

إنّ انعدام الثقة بالنفس وغياب الشـــعور بالقيمـــة الذاتية حرّماها من القدرة على التخطيط أو التركيز على أهدافها، ممّا أدّى إلى فشـــلها واضطرابها النفسى. ومع مرور الوقت فقـــدت القدرة على إدارة حياتها وأصبحت تميل إلـــى أن تكون تابعة خاضعة للآخريـــن. هذا ما جعلها تتحوّل إلى شـــخص مُطيع وخاضع لأوامر عمران بيك دون مقاومة:

«ماذا هذا الوجوم حبيبتى؟ مازال معها .. "أشرقت" ... لم أَكُن أتصوّر يوماً بأن هذه المرأة المتكبّرة ستدخل حياتنا فجأة و... سكتتْ كاتمةً حزناً عظيماً فلم تستطع أن تكمل جملتها ... زمّت على شفتيها بقوّة مغمضة العينين متألّمة فالاسم كان كالمنشار الّذى استقرّ في منتصف الجـــذع ولا يقطعه ... بل يزيده ألما كالخنجر الضارب في الخصر .. اخترق كلّ أحشـــائها ومزّقها شرّ تمزيق... "أشرقت" تلك الأفعى الصفراء ...لا تَقِلُّ شراسة عن "عمران" ولكنّها تضرب على الوتر فتبتره "أسلوب نشائى ناعم" ولكنّه فتّاك ... تغلغت في ربوع الأسرة كشبح اخترق جداراً منيعاً بلا استئذان.» (القاضى، ٢٠١٧م: ٤١)

شـــخصية "عائدة" تظهر تأثيراً عميقاً بســـبب دخول شخص آخر إلى حياة زوجها واحتلاله مكانتها في قلبه، ممّا يجعلها تتكتم على مشـــاعرها وتظلّ تعانى من إحساس بالخزى والاحتقار الداخلى، خصوصاً أنّها لا تعبّر عن هذه المشـــاعر لـ "عمران بيك". يمكن اعتبار هذا الشعور بـــالنقص الذاتى نتيجةً للظروف الاجتماعية القاسية والظلم الّذى تواجهه المرأة في مجتمعها. تتوقّع هذه الشـــخصية ومن مثلها أن يرى الآخر سبب ألمها ويكتشف جذور المشـــكلة دون أن تتحدّث هى عنها، وهو أمر غالباً ما لا يحدث. بالنسبة للنســـاء اللاتى يواجهن خيانة في حياتهنّ، فإنّ التأثير النفسى لهذه الخيانة لا يقلّ سوءاً عن جريمة قتل. من ثمّ النساء اللواتى يجبرن على مواجهة هذه الأزمة النفسية

يواجهـــن صعوبة كبيرة فى تركيز انتباههنّ على الســـيطرة على حياتهنّ، ويصبحن فى بحث دائم عن مخرج من هذا الألم النفســـى، ممّا يؤدّى إلى فقدان أشياء مهمّة أخرى فى حياتهنّ.

تكرّس عائدة كلّ تفكيرها لمحاولة الهروب من مؤامرات الخيانة وترى ســـببها فى ازدياد كره زوجها لها ورفضه إياها، وهو ما يزيد من تعميق أزمتها النفسية والاجتماعية. هذا الشعور بالنقص والاحتياج الدائم جعل عالم عائدة الذهنى يتوق إلى وجود رفيق حقيقى يكون لها ســـنداً فى حياتها؛ فتبحث عن معنى حياتها فى دعم ومودّة شـــخص قريب جداً منها، ترغب أن يكون ذلک الشـــخص هو الّذى يتحكّم فى حياتها ويكون دائماً نقطة ارتكاز لها، ولكن فى الواقع، لا تملک عائدة هذا الشخص فى حياتها.

لم تختبر عائدة فى حياتها حبّاً حقيقياً، وهى ترى أنّ كافّة مشـــاكلها تنبع من غياب الحـــبّ بينها وبين زوجها، من ثمّ تعيش فى خوف ورعـــب من أن يتركها عمران بيک يوماً ما. زوجها رجل ســـيء الطباع وظالم، لكنّها مع ذلک تحاول التكيف معه من أجل الاســـتمرار فى الحياة. يروى الكاتب مدى اضطرار النساء فى المجتمع إلى التعايش مع هذه الظروف الصعبة، ويصوّر إجبارهنّ على قبول واقع حياتهنّ القاســـى والملىء بالمعاناة.

د: سيطرة جوّ الحزن على المجتمع

إنّ تصوير جوّ الحزن والأســـى أحد العناصر الّتى ركّز عليها الكاتب فى نقد ثقافة المجتمع العراقى؛ فقد تســـيطر اليأس والإحباط على المجتمع العراقى وخلق فيه نوعاً من انعدام الثقة بين أبنائه. شـــخصية "ياســـين" أحد الأفراد المنعزلين فى هذه الرواية وذلک أنّ المجتمع قد نبذه ورفضه بقســـاوة. هو شابّ يتمتّع بشخصية منعزلة وبعيدة عن الناس، يعيش تحت جسر رطب وبارد ومظلم، ويلعن الجميع بسبب الحياة الصعبة الّتى يعيشها؛ فيحمل فى قلبه ضغينة تجاه الجميع محاولاً الانعزال عن الآخرين.

مظهره الخارجى بســـبب المعاناة والمصاعب العديدة يشبه المومياء أكثر من إنسان عادى؛ فهو شـــاحب ونحيف، ووجهه يعانى من جروح مروّعة، بالإضافة إلى أنّ جبينه

وذقنه تعرّضا لأضرار، وكلّ هذه الأمور تأخذ منه حتّى جماله الداخلي. قبل هذه الحوادث لم يكن يمتلك طباعاً سيئة حيث إنّ ما حدث له كان نتيجة سقوط من مبنى لم يكن له دخل فيه:

«كانت النار مُستعرة في رأسه وجوفه من شرب الخمرة... فهشّ لفكرة غسل رأسه بالماء البارد من الحنفية ... دسَّ رأسه تحت حنفية الماء فانبسطت أساريره ... ثم دخل العمارة وسحب فراشه من تحت السُلّم والمظلم وفرشهُ بهدوء ليأخذ نصيبه من النوم في هذه الليلة. قبل أن يتهالك على الفراش ... ويرمي بثقل الجسد المرهق عليه فأخذ يتخلّص من حذائه وجواربيه ثم تدثر ببطانيته الّتي لا يملك أغلى منها بل وحتّى يعتبرها أدفأ من حضن النساء مهما بلغن من الحنان من درجات.» (القاضي، ٢٠١٧م: ٤٦)

هذا النصّ ليس سرداً لشخص فقير فقط، بل مرآة قاتمة للثقافة الّتي سلّعت كلّ شيء، حتّى العاطفة، في مجتمع يطرد الهامشيين إلى الزوايا المظلمة، دون أن يلتفت لصراخهم الصامت. المجتمع الّذي يعيش فيها ياسين بيئة تهيئ له العزلة والحزن الدائم. في الواقع، في مجتمع ملىء بالتصنّع والنفاق والحسد والظلم والقسوة، لا يجد السلام والراحة النفسية إلّا من كان قوياً بدرجة كافية، وإلّا يصبح الانسحاب إلى العزلة هو الحلّ الوحيد. هنا يعتبر "ياسين" واحداً من الشخصيات المنسية في المجتمع؛ فتركها الزمن بدون رحمة، وأنهى قصّته بصمت.

يسعى ياسين إلى تجنّب أي اتصال أو تعامل مع الآخرين؛ لأنّ الحاجة إلى العزلة باتت من أهمّ احتياجاته. إنّه يريد دائماً ألا يزعجه أحد ولا يتدخّل الآخرون في شؤونه. مع مرور الوقت وبعد المعاناة والمشاكل الّتي تسبّبت بها له الأسرة والمجتمع، ابتعد تدريجياً عن غالبية الناس، وضاقت عليه مجالات حياته حتى أصبح شخصاً حزيناً للغاية:

«كان ناقماً على الأغنياء والقسمة الّتي يعتبرها غير عادلة «كما يصفها» الّتي قسمها الله له ... وطبعاً "حاشا لربّ الكون من أن يكون كذلك فهو ملك الملوك وربّ السموات والأرض" ومقسّم الأرزاق بالعدل». (القاضي، ٢٠١٧م: ٤٨)

إنّ الشخصية في النصّ ناقمة على الأغنياء وهذا يعكس شعوراً بالظلم الاجتماعي

والاغتراب الطبقى، وهو مفهوم جوهرى فى فكر فرانكفورت، حيث ينظر إلى المجتمع الحديث بأنّه يعيد إنتاج الظلم عبر أنظمة تبدو شـــرعية، لكنها فى حقيقتها غير عادلة. هناك اعتراض داخلى على قســـمة الأرزاق، غير أنّه يتبَع بسرعة بنفى واضح ومؤمن يقول: «حاشـــا لربّ الكون من أن يكون كذلك...». هذا التوتّر يشير إلى تناقض بين التجربة الواقعية للفقر والشـــعور بالظلم، وبين الخطاب الدينى المســـيطر الّذى يفرض الطاعة والتسليم كفضيلة.

ذ: العنف والظلم من قِبل رجال العائلة والأقارب تجاه النساء

ظاهرة العنف كانت دائماً واحدة من أهمّ مشاكل المجتمعات البشرية عبر التأريخ، ولكن من بين أهم هذه الظواهر هو العنف الأســـرى. يعرَّف العنف العائلى أحياناً تحت مســـمّيات مثل الإســـاءة الزوجية، العنف الزوجى، إساءة النســـاء، إساءة الشريك، وتســـميات أخرى. ومن بين هذه الظواهر، تُعدّ الممارســـات العنيفة ضدّ النساء وسوء المعاملة لهنّ من الجرائم الاجتماعية الأكثر شـــيوعاً ومن مظاهرها الواضحة. المنظّرون النسويون لا يرون أنّ التفسيرات الفردية أو الأسرية للعنف كافية لتفسير الظاهرة. على الرغم من اعتقادهم أن هذه العوامل يمكن أن تعمل كعامل مفاقم للســـلوك العنيف، إلا أنّ تأكيدهم ينصبّ على وجود هيكل غير متساوٍ فى علاقات القوّة بين النساء والرجال فى المجتمع ومؤسّســـاته. «انتباههم موجّه نحو الهيكل الأبوى فى المجتمع الّذى يسمح للرجال بممارسة السلطة على النساء. ومن هذا المنظور، العنف ليس عملاً فردياً لرجل تجاه امرأة يمكن تحليله بناءً على صفاته الفردية، بل هو ســـلوك يمارسه رجال المجتمع على نســـاء المجتمع.» (إعزازى، ١٣٨٣ش: ١) إنّ الفتيات فى المجتمع يتعرّضن دائماً لهجمات من المحيطين بهنّ فى المجتمع والبيئة الاجتماعية. نســـاء المجتمع العراقى فى الأســـرة يعانين من البرود وقلّة المودّة، وهذا الوضع يؤدّى إلى حزن واكتئاب لديهنّ. العقوبات البدنية الشـــديدة الّتى يتعرّض لها بعضهنّ مـــن قبل إخوانهنّ، بالإضافة إلى الشـــتائم واســـتخدام الألفاظ والالقاب النابية من قبلهم ومـــن قبل باقى الرجال فى العائلة، تدل على العنف وبرودة العلاقات مع بناتهنّ، وهذا بدوره يســـبّب لهنّ مشاكل

كثيرة.

"سليمة" هي إحدى الشخصيات الّتي تقع ضحية لجشع عمران بيك في هذه الرواية، حيث تُقتل نتيجة لمؤامرة تدبّرها هذه الشخصية. تبدأ القصّة عندما تتعرّف سليمة وزوجها إلى بعضهما من عائلتين متخاصمتين ويتزوّجان، ومن خوفهما من عمران يفرّان إلى إسطنبول وهناك ينجبان ولداً اسمه محمود. في الظاهر، يرى عمران أنّ هذا الحدث يشكّل عاراً وفضيحة لعائلة بيت القاضي؛ لأنّ ابنته هربت مع رجل غريب وعدوّ للعائلة، ولهذا يأمر رجاله بقتل زوج سليمة وأخذ سليمة إلى قصره، حيث يعذّبها ويؤذّيها بطرق مختلفة دون أن يرحمها:

«"سليمة" لم تكن لديها القوّة الكافية للرّدّ على جنون أخيها لا تزال تتوجّع من جذبه لشعرها بوحشية .. بل وحرّك كل الأوجاع الساكنة في جسدها وروحها ... كانت تتلوّى خوفاً وألماً .. لاحول لها بعد فهي تعرف أنّ مصيرها لن يقل سوءاً عن مصير زوجها وتعلم بأن أخيها عاشق الدماء وإن صمّم على شئ فعله استهجنه بطرفة عينٍ صارمة ... فمصدر هذه القوّة هي ثروة والده المغدور الّذي يحتمي بها ويستمدّ قوّته وجبروته منها.» (القاضي، ٢٠١٧م: ٢٨و٢٧)

إنّ النصّ يربط بين السلطة والفساد، حين تكون السلطة بدون رادع وتتحوّل إلى قوّة مدمّرة. الشخصية الذكورية هنا لا تجد حدّاً بين المال والدم وبين النفوذ والإجرام، وهذا يعكس نقداً غير مباشر للبنية الاجتماعية الّتي تغضّ الطرف عن العنف الذكوري إن كان مدعوماً اقتصادياً. إنّ العنف الّذي يمارسه الأخ ليس فقط بدافع شخصي، بل ناتج عن بنية اقتصادية-اجتماعية، فثروة والده المغدور أصبحت وسيلة للهيمنة وإرهاب الآخرين. المال في هذا النصّ هو أداة لإنتاج السلطة، وتحويل الغرور الشخصي إلى جبروت طبقي يسمح باختراق القوانين الأخلاقية والاجتماعية وحتّى القانونية.

مسألة شرف العائلة كانت مجرّد ذريعة تمسّك بها عمران بيك؛ فالهدف الأساسي له كان القضاء على كلّ ورثة والده ليبقى هو وحده ويسيطر على كلّ الممتلكات. سليمة وتوفيق يوافقان على مطالب عمران ويضعان كلّ ممتلكاتهما وثروتهما تحت سيطرته، في محاولة لكسب رضاه ومحبّته، لكنّ جهودهما هذه لا تعطي ثمارها، وبسبب شعورهما

بالعجز أمام عمـــران ورغبتهما فى الهروب من أذاه واضطهـــاده، يهربان، إلّا أنّها فى النهايـــة يقتلان على يده. كان الطمع فى الســـلطة والثروة متغلغلاً فى روح عمران إلى درجة أنّه أغلق عينيه عن أى حقيقة أو رابط عائلى. هنا يمكن ملاحظة تصرّفات عمران تجاه أخته:

«صوّب مسدّســـه نحوها ... وبهدوء أعصاب ضغط على الزناد ليطلق رصاصة باردة فى منتصـــف جبينها ويرديها قتيلة تضرّجت بدمائها على الفور ... تناثرت دمائها على الحائط كالنبيذ الصيفى فأخذ يتشـــرّبه بنهم ... قبل أن يدخل الحارس ويجرى بســـرعة البرق إلى الأســـفل كان ينتظر أوامر من سيده بتنظى وإخلاء المكان من جثتها ... كما يفعل دائماً عندما يتخلّص سيده من خصومه واجبٌ دورى عليه ألّا يتأخّر بذلک وإلّا فَسَيده لا يعرف الرحمة.» (القاضى، ٢٠١٧م: ٢٨)

يبدأ النصّ بمشـــهد قتل بارد خالٍ من الانفعال، ممّا يعكس نزع الطابع الإنسانى عن الضحيـــة. يتصرّف القاتل بهدوء تامّ، كما لو أنّ مـــا يقوم به مجرّد مهمّة روتينية، لا قتل إنسان. شخصية "السيد" تمثّل صورة السلطة المتغطرسة والمستبدّة الّتى لا تعرف الرحمة. ســـلطته مطلقة وهو لا يحاســـب وربّما يملک قدرة على التخلّص من خصومه بمساعدة الحارس. إنّ الحارس لا يملک من أمره شـــيئاً وينتظر الأوامـــر، كأنّه مبرمج. هنا نقد واضح لـــلاستلاب[1] حيث يسلب الإنسان حرّيته وإرادته، ويختزل إلى منفّذ أو ترس فى آلة الســـلطة؛ فأصبح هنا الحارس نموذجاً جليّاً للإنسان الّذى فقد فردانيته، وتحوّل إلى أداة تنفيذ.

الأيديولوجيا وتبرير بعض المعتقدات الثقافية

تقصد مدرسة فرانكفورت بالأيديولوجيا الأنظمة الفكرية الّتى غالباً ما تكون كاذبة ومضلّلـــة، والّتى ينتجها النخب الاجتماعية والأفراد ذوو النفوذ السياســـى وأصحاب السلطة. يمكن اعتبار جميع هذه الجوانب الخاصّة بالبنية الفوقية وتوجّه المدرسة النقدية تجاهها تحت عنوان نقد الهيمنة. لقد وصل العالم الحديث إلى المرحلة الأخيرة من السيطرة

1. Alienation.

على الأفراد، حيث لم يعد هناك حاجة لتدخّل مباشر من القادة. فهذه الرقابة أصبحت ملكة العقل لدى الفاعلين. (ريتزر، ١٣٧٤ش: ٢٠٦) يمكن تعريف التبرير (المشروعية) كنظام فكرى يخلقه النظام السياسى؛ من ثمّ تغلف التبريرات النظام السياسى بهالة من الغموض والأسرار. (المصدر نفسه) يتحدّث رياض القاضى فى روايته عن التيار الأيديولوجى السائد فى المجتمع ويعتبره مشروعاً بين الناس؛ فإنّ التيار الّذى يبرّر الأيديولوجيات الموجودة فى المجتمع يحمل عبئاً ثقيلاً وضارّاً للجميع. من أمثلة تشريع الظلم بين الناس تقطيب الوجوه عند ولادة الأنثى، والتشدّد من قبل الرجال تجاه النساء، والسعى إلى كسب السلطة فى المجتمع، وإزالة المنافسين بأى ثمن.

أ: نقد الناسّ فى مواجهة سطوة السلطة والقوّة

يعدّ مصير الفرد فى المجتمع أحد أبرز انشغالات مدرسة فرانكفورت؛ ففى أعماق المجتمع، توجد هيمنة واستبداد خفيان لا يدركهما الناس، فيجب عليهم أن يكتسبوا وعياً بهذه الهيمنة السائدة وأن يخضعوها للنقد. (ديندار، ١٤٠١ش: ٧٣) ينبع الهدف الإنسانى فى التخلّص من سيطرة الحاكِم، من ميوله التحرّرية وتأمّلاته النقدية حيال المسلَّمات الذهنية. هذا النوع من الاهتمام يدفع الإنسان إلى التخلّص من القيود والضغوط الناتجة عن العوامل البشرية والبيئة الاجتماعية، ويتطلّب هذا التحرّر استخدام العقل النقدى وهو عقل لا يستخدم من أجل السيطرة على الطبيعة أو التفاهم، بل من أجل نقد الواقع القائم وتغييره للوصول إلى نظام وظروف مثالية. وهى حالةٌ يبلغُ فيها الإنسان من خلال التأمُّل والتفكير إلى الوعى الذاتى، والفهم الذاتى، والتسامى، والسعادة، وتحقيق الأخلاق السامية والتحرُّر. (هولاب وهابرماس، ١٣٧٥ش: ٣٣-٣١) يسعى رياض القاضى أيضاً إلى بلوغ الوضع المثالى فى مجتمعه من خلال بثّ الوعى وكشف جذور السلطة ونتائجها المدمِّرة.

إنّه صوّر بدقّة ومهارة بنية السلطة والقوّة السائدة فى المجتمع العراقى، ووجّه لها نقداً ضمنياً؛ فقد كشف للقارئ عن الجوانب التخريبية للسلطة والعطش للهيمنة فى نفوس الشخصيات البارزة فى المجتمع. يتجلّى فى أحد أجزاء رواية بيت القاضى

ميل عمران بيک الواضح نحو السلطة من خلال تخلّصه من والده ليلبّی رغباته الدفينة فی التسلّط والسيطرة. كان عمران بيک منذ البداية مخالفاً لآراء والده ومواقفه، وكان يعبّر عن هذه المعارضة فی مواقف مختلفة؛ فبعد سماعه المتكرّر لاعتراضات والده، يقرّر إقصاءه من المشهد ليمسک بزمام الأمور:

«عندما دبّر "عمران بيک" محاولة اغتيال والده وهو فی طريقه إلی اجتماع مهمّ يقع خارج حدود بغداد .... تمّ استيقافه فی حاجز وهمی من قبل بعض الأفراد وهم بالزی العسكری .. قبل أن تظهر من العدم سيارتان وتحاصر سيارته فجأة ... و لم تمرّ فترة يسيرة حتّی نزل عدد من الأفراد من السيارتين مدجّجين بالأسلحة المختلفة ... فأمطروا السيارة ومن فيها بوابل الرصاص حتّی اشتعلت النار فيها .... فأخرجوا جثّة والده بسرعة تاركين الآخرين ليحترقوا فی داخل السيارة ... فأرشقوه بالرصاص حتّی نُخر جسده وتشوّهت معالمه بالكامل.» (القاضی، ٢٠١٧م: ٢١)

لقد جعل وجود الحاجة إلی التسلّط عمران بيک لا يولی أی قيمة للآخرين؛ فيحقّرهم ويعتبرهم صغاراً لا وزن لهم. الشخص الّذی تسيطر عليه نزعة التسلّط، ينظر فی أعماقه إلی الآخرين بازدراء، ولا يعترف بقيمة لأفكارهم، أو مشاعرهم، أو شخصياتهم بشكل عامّ. كلّ ما يشغله هو أن يری الجميع خاضعين لهيمنته. لقد أخضع عمران بيک جميع أفراد أسرته لسلطته، واعتبرهم بلا قيمة؛ لهذا السبب تخلّص من والده وأخته فی سبيل الوصول إلی السلطة. إنّه يمجّد القوة والعظمة بشكل أعمی، ويكره الضعف والتواضع؛ فمن أجل ذلک بنی عمران بيک سرداباً تحت قصره خصّصه لتعذيب أعدائه وإيذائهم:

«نزل عبر السُلّم نحو سرداب القصر الّذی يسيطر عليه السكون التامّ كأنّها مدينة مدفونة تحت الأرض ... واسعة ومظلمة لا حياة فيها بدهاليزها وجدرانها الرماديه الكالحة إمبراطورية تحت الأرض يعـِّذبُ فيها أعداءه بلا رحمة ثم يتخلّص منهم دون تردّد. كانت الزنزانة باردة وموحشة يدلّ صمت جدرانها علی القسوة والغم والقنوط ... تكتَسی بالظلام النسبی والرطوبة.» (القاضی، ٢٠١٧م: ٢٤)

إنّ جذور هذا السلوک والحاجات النفسية المضطربة لدی عمران بيک، يجب البحث عنها فی ماضيه وفی الطريقة الّتی كان يعامله بها والده؛ فقد كان والده يوبّخه باستمرار

ويتجاهل شـــخصيته وطموحاته، ممّا ولّد فى داخله شـــعوراً دائماً باليأس والإحباط. لهذا السبب، ولكى لا يشـــعر بالنقص، ولا ينظر إليه على أنّه شخص تافه، جعل هدفه وواجبه الأساســـى فى الحياة السعى وراء القوّة والثروة. من أجل تحقيق هذا الهدف، لم يتردّد فى التخطيط لقتل والده، وتخلّص من أخته وزوجها بحجج واهية. إنّ قسوته هذه لم تقتصر على أفراد أســـرته فحسب، بل امتدّت لتشمل منافسيه فى عالم التجارة أيضاً، حيث أزاحهم واحداً تلو الآخر باستخدام وسائل وأساليب مختلفة؛ فبذلک يمكن اعتبار شخصيته مثالاً حياً على من يسلک طريقاً عدائياً ضدّ الناس.

بـ: وجود الابن الذكر لاستمرار النسل

إنّ وجود الابن الذكر لاســـتمرار النســـل، فكرة متجذّرة فى الوعى الجمعى للكثير مـــن المجتمعات التقليدية، حيث ينظر إلى الذكر على أنّه حامل اســـم العائلة، وامتداد الســـلالة، وضمان البقاء فى الذاكرة والتأريخ. على الرغـــم من امتلاک عمران بيک للسلطة والثروة الطائلة، إلّا أنّه كان يشعر بفراغ كبير فى داخله؛ إذ كان يؤلمه باستمرار عدم وجود ابن يحمل اسمه ويخلّد ذكراه. يتجلّى هذا الحنين العميق وهذه الحاجة الروحية فى المقطع التالى من الرواية:

«من شُـــبّاک مكتب قصره الشـــاهق كان يتطلّع بعينين تغشاهما حُمرة النبيذ الأحمر يتطلّع بغضب إلى حديقة القصر ... كانـــت عيناه تلتمعان بكلمات غاضبة غير مفهومة ممزوجة بحقد دفين استولى على قلبه .. فأخذ يمسح ببصره ساحة القصر الواسعة .. يتطلّع إلى حرّاسه المدجّجين بالأســـلحة بكبرياء وقسوة ... تنفَّس بعمق وثقة كان غارقاً فى تفكير عميق مثل كلّ يوم عنده كلّ شىء كلّ ما تمنَّاه إل شىء واحد كان خارج إرادته وهـــو: أن يكون له ابن يحمل اسمه ... ليكون العـــرّاب القادم لبيت القاضى.» (القاضى، ٢٠١٧م: ١٧)

يجسّـــد النصّ نموذجاً سلطوياً مشوّهاً غارقاً فى التملّک ومحاصراً بالقلق الوجودى وعاجـــزاً عن نيل المعنى رغم تكدّس الامتلاک. إنّه يبرز أنّ الســـلطة حين تتورّط فى الثقافة السلطوية والذكورية، تتحوّل إلى قيد نفسى يدمّر الذات وينتج مجتمعاً قمعياً فى

ظاهره، مفكّكاً فى داخله. هنا يدخل النص فى ثقافة الذكورة الأبوية الّتى تُقدّس الذَّكر بوصفه حامل الاسم والسلطة. هذا يربط بالموروث البطريركى (النظام الأبوى أو النظام الذكورى) الّذى تنتقده مدرسة فرانكفورت كأحد أعمدة الثقافة القمعية. المرأة مغيبة تماماً هنا، لا ينظر إليها إلّا بوصفها أداة إنجاب محتملة، فليست الرغبة فى "ابن يحمل اسمه" مجرّد أمنية أبوية، بل تعبير عن حاجة مرضية إلى الامتداد والسيطرة الرمزية على المستقبل. إنّها نزعة تسلّطية تتغذّى من نظام يرى الذّكر استمراراً للسلطة، بينما تُختزل المرأة فى وظيفتها الإنجابية دون أى حضور فى النصّ أو فى وعى الشخصية.

النتيجة

- يتّضح أنّ رواية "بيت القاضى: العرّاب الأخير" تُعدّ تجسيداً سردياً للنقد الثقافى الّذى تبنّته مدرسة فرانكفورت، حيث قامت بتفكيك البُنى الاجتماعية والثقافية السائدة، وكشفت آليات السيطرة والهيمنة، وسعت إلى زعزعة الاستقرار الزائف الّذى تفرضه الثقافة الرسمية، ما يجعلها خطاباً روائياً ناقداً يسهم فى إعادة تشكيل الوعى الجماعى.
- تنسجم هذه الرواية مع مرتكزات النظرية النقدية من حيث الوضوح والعملانية، إذ لا تكتفى بعرض الأزمات الاجتماعية بل تسعى إلى تشخيصها تحليلياً، وتدعو القارئ إلى تبنى موقف نقدى فعّال إزاءها، ممّا يمنح العمل الأدبى بعداً اجتماعياً تغييرياً يتماشى مع أهداف مدرسة فرانكفورت.
- يظهر تحليل الرواية أنّ الكاتب رياض القاضى يتبنّى نظرة نقدية عميقة تجاه جذور المشاكل الاجتماعية فى مجتمعه، حيث يكشف بوضوح تأثير السلطة القمعية والأيديولوجيات المستبدّة فى تفاقم الأزمات ممّا يجعل العمل الأدبى بمثابة نقد ثقافى فاعل يسهم فى توعية القرّاء بضرورة مواجهة هذه الظواهر والعمل على تغييرها.
- ليس القمع واللامساواة واستغلال الناس فى المجتمع العراقى فقط ممارسات اجتماعية، بل هى نتاج أيديولوجيات ومعتقدات مترسّخة تُضفى شرعية

على السلطة، وتنتج عن تراكم تأريخي من الأحداث الّتي أفضت إلى تفوّق طبقة اجتماعية على أخرى، ممّا يؤكّد ضرورة نقد هذه المعتقدات والعمل على تفكيكها لتحقيق العدالة الاجتماعية.

- من خلال السرد النقدي للأزمات الاجتماعية والثقافية، تبرز الرواية كصوت يدلّ على الفوضى والظلم في المجتمع، وتدعو إلى وعي نقدي يحفّز القارئ على اتّخاذ موقف فاعل نحو التغيير وإعادة بناء مجتمع أكثر عدلاً، ممّا يرسّخ دور الأدب كأداة نقدية تُسهم في تحريك الوعي الاجتماعي.
- يكشف رياض القاضي من خلال الرواية التقاليد والمعتقدات الثقافية الّتي تشرّع التسلط والهيمنة، معبّراً عن حلم الأفراد بالتحرّر من هذا الواقع القمعي، والسعي نحو الحرية والمساواة، والتخلّص من استغلال السلطة، ممّا يجعل الرواية تعبيراً نقدياً عن الطموح الاجتماعي للعدالة والتحرّر.
- تُظهر الرواية تطابقاً واضحاً بين عالمها السردي والواقع التاريخي للمجتمع العراقي؛ إذ تستند إلى وقائع حقيقية عايشها بطل القصّة، ما يجعلها وثيقة أدبية تعكس بدقّة مرحلة تأريخية بعينها، وتُضفي على النصّ بعداً توثيقياً يعزّز من قيمته النقدية والاجتماعية.

المصادر والمراجع

إبراهيمي‌مينق، جعفر؛ أميري، محمّد؛ عامري، مهدي. (١٣٨٦ش). «مكتب فرانكفورت و نظريه انتقادي (آراء و نظريه‌ها)»، پژوهشنامه علوم اجتماعي، السنة ١، العدد ٤، صص ٨٦-٦٥.

أحمد، بن بوحة؛ زاوي، فكروني. (٢٠٢١م). «الأبعاد القيمية عند مدرسة فرانكفورت رؤية نقدية جديدة لمفاهيم الحرية والتسامح والتغيير»، مجلّة مقاربات فلسفية، الجزائر، السنة ٨، العدد ١، صص ٢١٩ - ٢٠٧.

أحمدي، بابک. (١٣٨٠ش). مدرنيته و انديشه انتقادي. طهران: نشر مركز.

إعزازي، شهلا. (١٣٨٣ش). «ساختار جامعه و خشونت عليه زنان». فصلنامه رفاه اجتماعي، السنة ٤. العدد ١٤، صص ٩٦-٥٩.

جمشيدي، فرشته؛ همّتي، شهريار؛ معروف، يحيى؛ پورحشمتي، حامد. (١٤٠٣ش). «تحليل شخصيّت در رمان "بيت القاضي – العرّاب الأخير" بر مبناي نظريه كارن هورناي»، ادب عربي، السنة ١٦،

العدد ١، صص ١٢٩-١١١.
دیندار، مریم. (١٤٠١ش). تحلیل رمان پایداری طبل حلبی اثر گونتر گراس از منظر مکتب انتقادی فرانکفورت، رسالة ماجستیر، طهران: جامعة شاهد.
ریتـــزر، جرج. (١٣٧٤ش). نظریه جامعه‌شناســـی در دوران معاصر، ترجمه محســـن ثلاثی، طهران: انتشارات علمی.
زهره‌ای، محمد علی. (١٣٨٧ش). بررسی مفهوم فرهنگ، ط ١٢، طهران: نشر نی.
ژیان‌پور، مهدی؛ بهارلوئی، مریم. (١٣٩٩ش). «گریز از مدار ضعیف زندگی زناشـــویی کاوشـــی در معنا و فرایند شـــکل گیری خیانت». مجلّه بررسی مســـائل اجتماعی ایران، ج ١٠، العدد ٢، صص ٢٠٠-١٧٩.
الغذّامی، عبد الله. (٢٠٠٥م). النقد الثقافی قراءة فی الأنساق الثقافیّة العربیّة، الطبعة ٣، المغرب: الدار البیضاء.
فرخ‌وندی، امیر؛ پارسی، فاطمه. (١٣٩٥ش). «واکاوی و نقد "صنعت فرهنگ" در مکتب فرانکفورت (با تاکید بر مباحث هورکهایمر و آدورنو)». فصلنامه ترویج علم، السنة ٧، العدد ١١، صص ١٠٣-٨٥.
القاضی، ریاض. (٢٠١٧م). بیت القاضی: العرَّاب الأخیر، لندن: مؤسّسة الإخباریة بإنجلترا.
گلدمن، لوســـین؛ آدرنو، تئودور؛ پیاژه، ژان. (١٣٧٦ش). جامعه، فرهنگ، ادبیات، ترجمه محمدجعفر پوینده، طهران: نشر چشمه.
مصدق، حسن. (٢٠٠٥م). النظریة النقدیة التواصلیة: یورغن هابرماس ومدرسة فرانکفورت، الطبعة ١، مغرب: الدار البیضاء.
مکاوی، عبد الغفار. (٢٠١٨م). النظریة النقدیة لمدرسة فرانکفورت، المملکة المتحدة: مؤسسة الهنداوی.
ناصری، محمدجواد. (١٣٨٤ش). فقر (پیامدها، زمینه‌ها و راهکارهای مقابله با آن)، رسالة ماجستیر ، قم: جامعة المصطفی العالمیّة.
نوذری. حسینعلی. (١٣٨٦ش). نظریه انتقادی مکتب فرانکفـورت در علـوم انســانی و اجتمــاعی، طهـران: نشر آگاه.
هولاب، رابرت؛ هابرماس، یورگن. (١٣٧٥ش). نقد در حوزه عمومی، ترجمه حسین بشیریه، طهران: نشر نی.
ولک، رنه؛ وارن، اوســـتن. (١٣٧٣ش). نظریه ادبیات، ترجمـــه ضیاء موحد و پرویز مهاجر، طهران: انتشارات علمی و فرهنگی.
وولین، ریتشـــارد. (٢٠١٦م). مقولات النقد الثقافی: مدرسة فرانکفورت، الوجودیّة، ما بعد البنیویّة، ترجمة محمّد عنانی، الطبعة ١، القاهرة: المرکز القومی للترجمة.

References

Ebrahimi Minagh, J; Amiri, M and Ameri, M. (2007). "The Frankfurt School and Critical Theory (Ideas and Theories), Journal of Social Sciences Research, Vol. 1, No. 4, pp. 65-86. [In Persian].

Ahmed, B. B and Zawi, F. (2021). "Value Dimensions in the Frankfurt School: A New Critical Perspective on the Concepts of Freedom, Tolerance, and Change, Philosophical Approaches Journal, Algeria, Vol. 8, No. 1, pp. 207-219. [In Arabic].

Ahmadi, B. (2001). Modernity and Critical Thought, Tehran: Nashr Markaz. [In Persian].

Ezazi, Sh. (2004). "Social Structure and Violence Against Women, Social Welfare Quarterly, Vol. 4, No. 14, pp. 59-96. [In Persian].

Jamshidi, F; Hemmati, Sh; Marouf, Y and Pourheshmati, H. (2024). "Character Analysis in the Novel 'Bayt al-Qadi: The Last Godfather' Based on Karen Horney's Theory, Arabic Literature, Vol. 16, No. 1, pp. 111-129. [In Persian].

Dindar, M. (2022). Analysis of the Resistance Novel 'The Tin Drum' by Günter Grass from the Perspective of the Frankfurt Critical School, Master's Thesis, Shahed University. [In Persian].

Ritzer, G. (1995). Sociological Theory in the Contemporary Era, translated by Mohsen Salasi, Tehran: Elmi Publications. [In Persian].

Zohrei, M. A. (2008). Study of the Concept of Culture, 12th Edition, Tehran: Nashr Ney. [In Persian].

Zhianpour, M and Baharlooi, M. (2020). "Escaping the Weak Orbit of Marital Life: An Inquiry into the Meaning and Process of Infidelity Formation, Iranian Journal of Social Issues, Vol. 10, No. 2, pp. 179-200. [In Persian].

Al-Ghazzami, A. (2005). Cultural Criticism: A Reading in Arab Cultural Systems, 3rd Edition, Morocco: Dar Al-Bayda. [In Arabic].

Farrokhvandi, A and Parsi, F. (2016). "Analysis and Critique of the 'Culture Industry' in the Frankfurt School (With Emphasis on Horkheimer and Adorno's Discussions), Science Promotion Quarterly, Vol. 7, No. 11, pp. 85-103. [In Persian].

Al-Qadi, R. (2017). Bayt Al-Qadi Al-Arab Al-Akhir, London: Al-Ikhbariya Foundation. [In Arabic].

Goldmann, L; Adorno, Th and Piaget, J. (1997). Society, Culture, Literature, translated by Mohammad Jafar Pooyandeh, Tehran: Cheshmeh Publications. [In Persian].

Mosaddegh, H. (2005). Communicative Critical Theory: Jürgen Habermas and the Frankfurt School, 1st Edition, Morocco: Dar Al-Bayda. [In Arabic].

Makawi, A. Gh. (2018). Critical Theory of the Frankfurt School, United Kingdom: Al-Hindawi Foundation. [In Arabic].

Naseri, M. J. (2005). Poverty (Consequences, Contexts, and Strategies to Confront it), Master's Thesis, Supervisor: Mohammad Jafar Hosseinian, Qom: Al-Mustafa International University. [In Persian].

Nouzari, H. A. (2007). Critical Theory of the Frankfurt School in Humanities and Social Sciences, Tehran: Agah Publishing. [In Persian].

Holub, R and Habermas, J. (1996). The Structural Transformation of the Public Sphere, translated by Hossein Bashirieh, Tehran: Ney Publishing. [In Persian].

Wellek, R and Warren, A. (1994). Literary Theory, translated by Zia Mohadd and Parviz Mohajer, Tehran: Elmi va Farhangi Publishing. [In Persian].

Wollin, R. (2016). Categories of Cultural Criticism: The Frankfurt School, Existentialism, Post-Structuralism, translated by Mohammad Anani, 1st Edition, Cairo: National Center for Translation. [In Arabic].